ثقافة سريعة

د. جبار خماط حسن

الناس ميالون بطبعهم الى معرفة ما حولهم، والتجربة ايسر طريق ينتقل المجرب بها من المجهول الى المعلوم، واذا عرفت امراً ما تعلمته، والباقي كفيل بالذاكرة التي تساعدك على التعامل معه ثانية، بصورة مباشرة، فلا يغيب لانه يبقى معك كالنقش في الحجر، وقيلت في حب التجربة وسعي الانسان الى المعرفة، امثال كثيرة منها الشائع (اسأل مجرباً ولا تسأل حكيماً) وثقافة العلم بالشي سريعة الاثر من حيث الفائدة، لكنها قد تتحول الى كارثة لا تحمد عقباها، اذا افتقرت الى المعرفة الكافية، وحركة التجريب تحولت الى منهج، يراد منه معرفة السبب الحقيقي وراء ظاهرة ما او حالة معينة، وبغية تقريب الصورة نضرب

مثالاً من حياتنا اليومية، حادث سير على طريق خارجي، بغية التعرف على السبب الحقيقي وراء هذا الحادث، ينبغي ان نفترض عدة اسباب تكون وراءه، مثل رداءة الطريق او السرعة او خلل في المركبة او تعاطي السائق المشروبات الكحولية، من خلال هذه الفرضيات نصل الى السبب الراجح وراء هذه الحادثة، والميل نحو التجربة لا ينطلق من رغبة عابرة بل يتطلب العلم والفهم لما يجري من امور تتعلق بالتجربة، ولنا في العالم (غاليلو) انموذج، اذ وجد من خلال مراقبة المجموعة الفلكية من الكواكب ان الارض تدور حول الشمس وليس العكس، كما هو سائد انذاك في الاعتقاد المسيحي مما اثار غضب الكنيسة ومحاكم التفتيش التي خيرته بين امرين، اما التخلي عن نظريته الجديدة او حرقه حياً بتهمة الهرطقة، وما كان منه الا التخلي عنها ظاهراً مع ايمانه بها سراً.

وتقول الروايات انه بعد تعهده امام المحكمة برفضها وصل الى الباب الخارجي والتفت قائلاً: والله انها لتدور! وعلى ذكر النار، اراد الانسان القديم الدفء فجرب ان يضرب حجراً بحجر مولداً منهما ناراً، أصبحت جذوة الحضارة المادية الاولى وتطور الانسان مع تجاربه في فهمه لما يدور من حوله، حتى اكتشف الطاقة البخارية والكهربائية والذرية في سبيل ترويض الطبيعة وتسخيرها الى اغراضه المتعددة لذلك ينبغي التفكير قبل خوض التجربة بالفرضيات التي تسمح بإيجاد او معرفة السبب وراء ما نسعى اليه، ولا يتعلق الامر بالعلوم المادية حصراً، ولكن ينبغي التفكير ايضاً بالمعرفة الفنية التي يريد منها المبدع الجمالي، ان تكون ذات قصد وتأثير على المتلقي وتاريخ الفن شاهد على صراع المبدعين في مسألة جدوى الفن وتأثيره على مجتمع الجمهور، ولنا في صراع الطبيعة والواقعية من جهة، والرمزية مثالاً اذ نجد الدراما الطبيعية والواقعية قد رافقتا طروحات العلم الحديث، من خلال فرضية تأثير الوراثة والبيئة على سلوك الانسان والذي يكون نتيجة لهما، حتى ان (اميل زولا) اكد على ضرورة ان تسير الدراما والادب على نحو علمي، وان الكاتب ينبغي ان يكون مثل الطبيب يبحث عن الأمراض الاجتماعية بهدف معالجتها والخلاص منها. هذا الربط ما بين الفن والعلم واعتماد التسجيل والملاحظة أنكره فريق اخر لم يجد في العوامل المادية السبب الرئيس وراء السلوك الانساني بل ثمة عوالم سرية لا يمكن للانسان التحكم بها ينقاد اليها على نحو غير مباشر، مثل الاحلام وعالم الروح والسحر، واكثر من فسر هذا الرأي الشاعر الفرنسي (بودلير) بقوله: يمشي الانسان في غابة من الرموز تتحدث اليه بكلمات لا يفهمها ولا يمكن ان يتصل بها الا بطريق ملتو وبنظام من المعالجة تفترض رؤيته ولا تعبر عنها مباشرة فالشاعر يأخذ مادته من عالم الاحاسيس والامزجة ليكون بها رؤية رمزية عن نفسه او عن حلمه. وبالتالي مثلما اعتقد الواقعيون بفرضية العوامل المادية وتحكمها في السلوك الانساني، نجد الرمزيين لهم فرضيات مغايرة اوجدت مريدين لها وداعين جدداً، ولهذا يمكن القول ان تفكيرهم التجريبي اسفر عن انماط واشكال فنية لها تأثيرها الواضح على استجابة الجمهور الامر الذي اوجد- بالنتيجة- بصمة حقيقية في تاريخ الفن المسرحي، بوصفها مثالاً للبحث الحقيقي في وقائع وافكار الناس، تتفاعل معهم في راهن التجربة الفنية وليس محض ثقافة مجانية خالية من القصد الانساني، تسعى الى تهديم ثقافة الجمهور بحجة التجريب، وواقع الحال ان ما نجده في بعض عروضنا المسرحية مثلا محض تخريب مسرحي، لا ينطلق من فرضيات فنية حقيقية الامر الذي يؤدي الى انتاج عروض مبهمة ينبغي الحذر منها والابتعاد عنها، لانها تكون اشبه بمواد سريعة الاشتعال، لا نعرف عواقبها، اذا اسيء استعمالها.

من قاسم عبد الأمير عجام الى نجيب محفوظ

(رسالة وأشياء أخرى)

د . نادية غازي العزاوي

تحتلّ الرسائل الشخصية موقعاً مهماً في الدراسات الأدبية والتاريخية ، لقيمتها الوثائقية الممتازة في الكشف عن مواقف وحالات خاصة بحياة أصحابها أو بحركة أشمل ضمن حقبة زمنية معينة أو مجتمع ما .
ومن هذا المنطلق وقفنا عند هذه الرسالة المؤرخة في ٣/١١/١٩٨٨ التي ارسلها المبدع الراحل قاسم عبد الامير عجام من محافظة بابل / ناحية المشروع / ادارة مشروع المسيب الى نجيب محفوظ بمناسبة فوزه بجائزة نوبل .
وها هو - أولا - نصّ الرسالة (١) :
.....
(تحية حارة واصدق التمنيات بموفور الصحة لعمر مديد من الابداع .
ها انا اعود لتوي من امسية احتفالية اقامها اتحاد الادباء والكتاب في محافظة بابل تعبيراً عن سرور ادباء ومثقفي المحافظة بنهوض لجنة جائزة نوبل من كبوتها لتعيد اليكم حقاً كان لكم منذ زمن باختياركم للجائزة عام ١٩٨٨ . وها انا استعيد مجدداً جو السرور والفخر الذي كان يلف الحضور جميعاً فاعود الى سروري الخاص لأرى ان كان يرقى فعلاً الى ما وضعنا فيه اختياركم للجائزة الكبيرة من تقدير للمعاني التي تمثلوها عطاء وابداعاً وسلوكاً .. واعود الى نفسي مرة اخرى متسائلاً عما اذا كنت قد وفقت -وقد كنت محاضر الختام في الامسية -في ان اضع امام الحضور تلك المعاني التي ادركتها في عطائكم الثر ومثابرتكم النبيلة ... وحين اسعدني الحظ بمعايشتها قريباً منكم في مجلسكم الاسبوعي بمقهى ريش شتاء ١٩٧٢ ازداد ادراكي لها عمقاً فكانت مادتي في مساهمتي بتلك الامسية . وحين استعيد استجابة الزملاء الادباء الحضور والحاحهم في دعوتي لنشر مساهمتي لما رأوه فيها من (جديد) اعاود التساؤل عما اذا كانت تلك المساهمة تستطيع فعلاً ان تكون تحية لك في عيد أدبنا العربي الذي صنعه فوزكم بجائزة نوبل أو فوزها بكم بتعبير أدق .

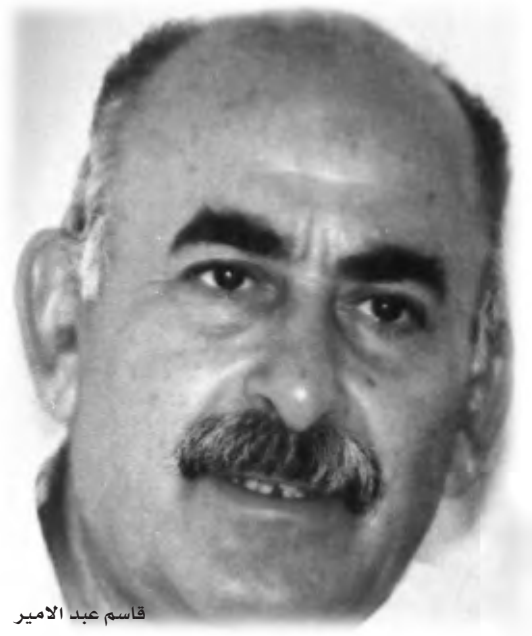
قاسم عبد الامير

نجيب محفوظ

بل انني على فرحي الشديد الذي غمرني وانا اتلقى ذلك النبأ من اذاعة لندن صباح الجمعة ١٤/١٠/٨٨ ، وهو الفرح الذي اغناني عن فطور ذلك اليوم واذاقني سروراً افتقده منذ سنوات ... لم اجد بي جرأة تكفي للكتابة اليكم بالتهنئة ربما لانني شعرت انني أنا أهل للتهنئة بجائزتكم لما نالني من احتفاء بما تمثلونه فناً ونبلاً ونزاهة . وهكذا بقيت استحضر لحظات الخير التي سعدت بها في مجلسكم واستقطر صفاء المعاني التي كانت ولم تزل خيطاً معقوداً بأدبكم في مصداقية باهرة ما أحوجنا اليها كقيمة ثقافية لحياة ثقافية واجتماعية نحلم بها . وهكذا لم اجد ما أساهم به في تلك الأمسية الا ذلك الخيط المتين بين مجلسكم انساناً معلماً وبين صرحكم الفني الجميل الذي ابدعتموه طوال عمر من الخصوبة والصبر الجميل والكلمة المختصة ... متتبعاً بعض حصيلتي التي منحني اياها قربي منكم .. متتبعاً اياها في اعمالكم ومواقفكم لنستحضر منها (محاضراً ومستمعين) تلك القيمة الثقافية التي تمثلون . وأياً كان حظي من التوفيق في اسهامتي تلك فانها تبقى وحدها مسرة لي وشرفاً كبيرين اضافة لسرورنا القيم بكم انساناً وابداعاً ، ولا يعدل ذلك الا قبولكم اياها حين تنشر ، بناء على رغبة زملائي .

هي تحيتي المتواضعة يا سيدي النبيل ، وهي بعض وفائي لما منحتنا اياه اضمها لتحية زوجتي التي كان لها حظ اللقاء بكم معي ... وتحية (طفلنا) الذي كان معنا في ذلك اللقاء وهو اليوم شاب بلاحق معي ما تنشره الصحافة عن جائزتكم بسرور كبير .

لعلكم سيدي تتذكرون ذلك المهندس الزراعي (المايكروبايوجيست) العراقي الذي جاء مصر مدرباً في الميكروبايولوجيا الزراعية (شتاء وربيع عام ١٩٧٢) واطلعكم على مسودة مقالة عن (خمارة القط الاسود) التي نشرت فيما بعد في مجلة (الاقلام) العراقية بعددها التاسع / ١٩٧٣ لأفوز بعد نشرها برسالة منكم ... ذلك هو انا . اضفت لخبرتي التي نهلت في مصر قسماً منها جديداً بحصولي على شهادة الماجستير في المايكروبايولوجيا الزراعية من جامعة بغداد عام ١٩٧٧ دون أن افارق الادب بل لقد انغمست فيه حتى ليصبح من سروري أن اكون في الصورة التي لوح بها الكثير من ابطال أعمالكم صورة العلم والفن متعانقين .. وعذراً للاطالة فشفيعي ان الفرح فياض وبحر محبتكم يمده بالمزيد.

اكرر تحياتي وقبلي على جبينكم المهيب وعمراً مديداً استاذنا العزيز .. عمراً مديداً ، خصباً وانت في القلب منا).

يخرج قارئ الرسالة بملاحظات كثيرة : بعضها عامة ، والأخرى خاصة بشخص المرحوم قاسم :

١-فالرسالة تجسّد عمق الرافد الثقافي في حياة الانسان العراقي عمقاً تؤيده الشواهد في التاريخ القديم والحديث : فاكتشاف الكتابة منذ عام ٣٠٠٠ ق . م على هذه الأرض ، والمنجز المعرفي الضخم الذي خلفته الحواضر العراقية : (البصرة ، الكوفة ، بغداد ، الموصل ..... الخ) في العصر العباسي والعصر الوسيط ، والنهم في تلقف وقراءة ما يطبع وينشر في القاهرة وبيروت المقولة المتداولة في كثير من الاوساط العربية ، واقامة الأماسي والندوات الرسمية والجماهيرية في البيوتات والمقاهي والمتاحف والمسارح بلا انقطاع خلال الحروب والأزمات العصيبة كلها أدلة تقطع بهذه الحقيقة ، حداً يبدو معه الانشغال الثقافي ومتابعة الظواهر الثقافية ورموزها وأعلامها وسائل يستعين بها العراقي على مواجهة الأزمات السياسية والاجتماعية التي تعصف بواقعه ، وامتصاص الصدمات والاحباطات المحيطة به ، وكأنه بالثقافة يسترد عافية وجوده ويفعل طاقاته الخلاقة التي يراد شلها أو قمعها أو صرفها باتجاهات غير بناءة ولغايات عبثية وفوضوية ، فلا تكون الثقافة وسيلة (تطبيب) أو (تنفيس) بل ضرورة من ضرورات استعادة الوجه الطبيعي أو السوي للحياة ، ومعنى من معاني (المقاومة الحقيقية) : مقاومة الخراب بالثقافة . ومن يدقق في التاريخين الواردين في الرسالة أعلاه : ((١٤/١٠/١٩٨٨ (موعد اعلان الجائزة) و ٣/١١/١٩٨٨ (تاريخ كتابة الرسالة))) ، يلمح صدق هذه التصور ، فالموعدان يقعان ضمن سياق لحظة حرجة جداً في الروزنامة العراقية السياسية المثخنة بالجراح ، فلم تكن الحرب العراقية - الايرانية قد مضى على انتهائها أكثر من شهرين ، والعراقيون ما زالوا لم ينتهوا بعد من احصاء خساراتهم البشرية والاقتصادية والنفسية الفادحة ، وقلة من المثقفين الوطنيين - وقاسم منهم - كانت تعي جيداً حجم المأساة الحقيقية والمصير المجهول الذي ينتظرنا ادراكاً منهم أن الحرب أي حرب لا تخلف سوى الرماد والفجيعة ، وهكذا كانت هذه الحرب الطاحنة بداية الدمار الشامل القادم- بالرغم من الادعاءات الكاذبة لطبول الاعلام المحلية والعالمية - .

ولكن المثقف العراقي -في كل تلك المحن - لم ينقطع عن زاده الثقافي ، لا بل قد يلوذ بهذا الزاد الروحي النوعي عن زاده المعاشي الاستهلاكي ، وهو ما ألمح اليه الراحل بعفوية مصوراً ردة فعله عند سماعه نبأ اعلان منح نجيب محفوظ جائزة نوبل : (وهو الفرح الذي أغناني عن فطور ذلك اليوم ، وأذاقني سروراً أفتقده منذ سنوات) .

وهكذا شارك المثقف العراقي في الاحتفالات التي عمت العالم العربي في الاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات واتحادات الأدباء في العاصمة والمحافظات في ذلك التوقيت الدامي من حياتنا الأمر الذي يعكس أكثر من دلالة :

الأولى : أن المثقف العراقي - بغض النظر عن الدور الاعلامي الدعائي الذي مارسته مؤسسات الدولة آنذاك مع أو ضد نجيب محفوظ - كان منشغلاً فعلاً وطوعاً بالحادثة وأهمية التفات العالم الى المنجز الثقافي العربي بعد طول جحود ونكران ، مما يمثّل صورة من صور انتصار عنفوان الحياة داخل الانسان العراقي على خرائب الموت المحيطة به .

والدلالة الثانية : حيوية هذا الوعي الثقافي المنفتح على المنجز العربي والأجنبي القديم والحديث خارج الحساسيات الاقليمية أو الطائفية أو العرقية أو الدينية -الى حد ما -بل ان المشهد الثقافي العراقي يبدي -في العادة -احتفاء ملحوظاً برموز الآخر وأعلامه أكثر من احتفائه بأعلامه ، وهو توجه يحمل مؤشرين متناقضين -اذا بولغ فيه - : لأنه بقدر ما يرصد انفتاحاً وتفتحاً على منجز الآخر فانه يرصد تجاهلاً أو غفلة أو تجاوزاً للمنجز المحلي ، على خلاف ما نجده في ثقافات الشعوب الأخرى من تضخيم و تفخيم لأعلامها و انجازاتها .

٢-كما تكشف الرسالة -على المستوى الانساني -نبل شخصية قاسم عجام وأريحيتها وهي تتفجر في عبارات الترحيب والتهليل وكأنها تعيش لحظة انتصار : (شعرت انني أنا أهل للتهنئة) ، هذا النبل الذي لا ينسيه الآخرين المحيطين به فيستذكر زوجته وابنه واصدقاءه في اتحاد أدباء بابل ، فمن طبعه أن لا يستأثر بالأشياء وحده فكيف اذا كانت لحظة فرح ، وهكذا راح يتحدث عنهم بحب غامر : (أضمها لتحية زوجتي التي كان لها حظ اللقاء بكم معي .... وتحية (طفلنا) الذي كان معنا في ذلك اللقاء وهو اليوم شاب يلاحق معي ما تنشره الصحافة عن جائزتكم بسرور كبير) ، وتبدو كلمة (يلاحق) بليغة جداً في دلالتها على عمق الانشغال الثقافي وجديته -عنده - وهما بعض ما كان يفيضه على من حوله من اهتمامات وتطلعات .

٣-وتومئ الرسالة من بعيد الى مشروع قاسم المعرفي الذي جمع فيه بين التخصص العلمي والمتابعة الأدبية والفنية المثابرة والرصينة على نحو يشكل فيه -مع قلة من نظرائه -ظاهرة متميزة في الثقافة العراقية المعاصرة ، فالعلم والفن جناحا الثقافة اللذان حلق بهما (٢) لأنه وجد فيهما جوهراً متكاملاً وليس متناقضاً كما يتوهم البعض ، وعلى نحو ما وضح من واقع تجربته الشخصية :

((وهذا ما ينسجم تماماً مع ما توصلت اليه الدراسات العلمية المتعلقة بالابداع والتطور العقلي من أن الانجازات الفنية عموماً والانجازات العلمية تنبع من مصدر واحد لدى الانسان وبنفس الطريقة ، فما يعرف في الفن بالالهام موجود على الجانب العلمي أيضاً ..... وفي الحالتين يلعب الخيال دوراً كبيراً في الكشف الذي يتبلور عنه .... ان الخيال ليس ضرورياً لانبثاق الاكتشاف وتناسقه فحسب وانما لفهم كثير من الصيغ والرموز العلمية المنشورة كالصيغ التركيبية للمركبات العضوية ولفهم كيفية حدوث تفاعلاتها الكيمياوية وما ينتج عنها فان القدرة على تحليل تلك التراكيب وارتباطها يضيء تماماً ميكانيكية تلك التفاعلات وهذا ما جربته أنا في درس الكيمياء العضوية)) (ثقافة أم ثقافتان : ص ٣ ، ٤) .

وهكذا تعددت بحوثه ومحاضراته في مجال تخصصه العلمي والمهني في العلوم الزراعية / أحياء التربة المجهرية (٣) ، كما تعددت دراساته ومقالاته ومحاضراته في مجالات أدبية وفنية متنوعة ، منها : في نقد الرواية والمسرحية ، وفي النقد التلفزيوني اذ كان من المجيدين فيه على قلتهم في العراق ، وفي السينما ، وفي العمارة .

وكل ما تقدم يجعلنا نفهم بوضوح عبارته في الرسالة : (من سروري أن أكون في الصورة التي لوح بها الكثير من ابطال صورة العلم والفن متعانقين) .

٤-ونجيب محفوظ -نتاجاً وشخصاً -ليس محطة عابرة في حياة قاسم الثقافية ، بل هي بعض أهم مرتكزاتها ، لقد قرأ مبكراً رواياته وقصصه وحواراياته بشغف واستيعاب قراءة فاحصة تمخضت عنها أكثر من دراسة جادة (٤) رصدت قيماً فكرية وأيديولوجية معينة ظل قاسم يؤمن بها بيقين لم تزعزعه الانتكاسات التي منيت بها الحياة السياسية في العراق ودول العالم الثالث اذ جرى اجهاض أكثر الحركات التحررية والوطنية ولم تزعزعه التحولات الجارفة للثقافة في ابتعادها عن قضايا الجماهير والوطن ، وهي الرؤية التي ظل يلتزم بها التزاماً فكرياً وعقائدياً، فأدب نجيب محفوظ بالنسبة له أنموذج راق يبرهن على أهمية (الواقعية) وتجدد معطياتها وتنويعاتها في الأدب والفن ، وهو ماظل يدعو له باخلاص من أن الواقع منجم ثر للفكر والأدب وأنهما من الواقع واليه شرط توفر العناصر الكفيلة باثراء هذه الرؤية للحيلولة دون الوقوع في الجمود والرتابة والأحادية ، ومن هذه العناصر : وعي الأديب ، ورهافة احساسه بما حوله ، وتوظيفه الابداعي لأدواته الفنية ، وهو ما تحقق في أدب محفوظ اذ الصلة ((دائمة متزايدة العمق والتجدد بين أعماله الروائية ومراحل التطور الاجتماعي التي تصدر خلالها ....كنا نرى في تلك المواكبة المثابرة للتطور الاجتماعي اخلاصاً للمسؤولية الاجتماعية للمبدع وللابداع ، فانها أيضاً انعكاس لموقف متقدم يرى نجيب محفوظ الأدب باعتباره حلماً فردياً يلتقي بأحلام الجماعة))(٥) .

وان تطوره فنياً وتقنياً : ((لم يتمّ لمجرد التجديد أو ملاحقة صيحة من صيحات المدارس الفنية ..... بل ان ذلك التطور حكمته قضيته الأساسية ... ادراكاً لحقيقة جوهر التطور الفني باعتباره تطوراً متصلاً بالتطورات الاجتماعية ذاتها .... وبذلك يكون تطوراً محفوظاً فنياً اخلاصاً لقضية الادب وما يتطلبه من تجديد بمثل ما هو اخلاص لقضية الدور الاجتماعي للابداع الأدبي)) (٦) .

ثم اتيح له أن يلتقي نجيب محفوظ في القاهرة سنة ١٩٧٢ ، ولا يخفى أن لقاء المبدعين حالة ذات وجهين : فقد يثري هذا اللقاء علاقتك الروحية والفكرية بالمبدع ويعززها ، وقد يطيح بها ، فكثير من المبدعين كبار بما ينجزون ، ولكنهم ليسوا كذلك على المستوى الحياتي سلوكاً وعادات ، ما حدث لقاسم كان شيئاً مختلفاً فقد عاش لذة حقيقية في هذا اللقاء واستمتع بمواقف وقيم عرض لها بالتفصيل في الحوار الذي أداره مع محفوظ ، ونشر في مجلة (الثقافة) ، العدد ٩ / أيلول ١٩٧٢ ، ثم اعاد استلهام تلك القيم في الامسية التي أقامها اتحاد أدباء بابل بمناسبة جائزة نوبل -كما ذكر في الرسالة -وكانت المحاضرة بعنوان : (نجيب محفوظ بين مجلسه واعماله) ، لقد أعجبت بتواضع نجيب محفوظ ، وروحه الشعبية الساخرة التي استطاعت أن تستقطب شرائح وطبقات مختلفة من الناس ، وايمانه بالآخر وحريته ومعتقده وحقه في قراءة نتاجه ونقده من غير ان يمارس المؤلف عليه سلطة أو تعسفاً ، وكان قاسم شاهد عيان لبعض المواقف الدالة في هذا الجانب : ((حين صدرت رواية (المرايا) كنت هناك (١٩٧٢) ، وجاء الناقد فاروق عبد القادر وجلس في مواجهته وأعلن أنه قرأ (المرايا) وله عليها ملاحظات وانطلق يقلبها ذات اليمين وذات الشمال بدءاً من شكلها ومدى امكانية اعتبارها رواية مروراً ببناء شخصياتها وصولاً الى تقسيمها الى دوائر أو مجاميع للشخصيات ، ونجيب مصغ اصغاء تلميذ لأستاذه .... .

وحين استأذنت أنا لابداء ملاحظة التفت نحوي ضاحكاً بالطريقة ذاتها ليقول :

-وانت ايضاً ؟ اذا كان فاروق يلبس النظارة وقال ما سمعت ، انت شايف ايه ما دام حضرتك (بكتريولوجيست) وتشوف حتى الميكروبات المجهرية ؟

وبمثل هذه الروح يصغي ويناقش كل من يعرض رأياً مهما كان حساساً في أدبه أو في قضايا عامة ، وكثيراً ما كرر أنه يجد في آراء بعض النقاد ما يحفزه على العودة الى اعماله ليمتحن فيها تلك الآراء لعلها تكشف ما لم يكن منتبهاً له)) (٧) .

وأثنى على تبنيه في مجلسه للشباب قوى وطاقات واعدة بالمستقبل ، ولذلك آمن بحقها في التغيير والتمرد على السائد والمألوف وابتكار أشكال وصيغ جديدة في التعبير عن رؤاها وأحلامها .

ووجد في اخلاص محفوظ لحضور مجلسه موقفاً مبدئياً آخر موازياً لاخلاصه في ابداعه من حيث أن هذه المجالس منابع دائمة لهذا الابداع بما ترفده به من حيوات وشخصيات وأفكار متباينة ومتنوعة ليغرف منها جميعاً : ((وأول ما يحسه من تعرف على مجالس نجيب محفوظ أنه يأتي اليه ويمضي فيه وقته بجدية بالغة تعبر عن اخلاص شديد لقضية الأدب وعالم الفكر كجزء من اخلاص أشمل لقضية الانسان ، فليس موعده مجرد جلسة في مقهى ولذلك يحرص عليه حرصه على قضاياه الأخرى حتى أصبح وفاؤه لموعده ذاك من ثوابت حياته ، ولعلكم سمعتم أو قرأتم أنه غافل جمهور المهنئين والصحفيين وعدسات التلفزيون المحتشدين في بيته وأمامه لتهنئته بجائزة نوبل لكي يمضي الى مجلسه الاسبوعي في كازينو قصر النيل .....مثابرة تشير بحد ذاتها الى اخلاصه في ادامة نبع عطائه الفني)) (٨) .

انها القيمة التي تبناها الراحل قاسم وهو يواكب الحضور والمشاركة الفعلية في البرامج الثقافية في أماسي اتحاد الأدباء ببابل الذي كان أحد دعائمه الأساسية ، ومحركاً اساسياً لكثير من اماسيه ، وجزءاً من ايمانه بجدوى مثل هذه الفعالية في نشر الثقافة بين الجمهور على تنوع مستوياته الخاصة والعامة ، وغرس هذا التقليد الحضاري فيهم .

٥-بقي شيء آخر مشترك بين المرسل والمرسل اليه ، أشير اليه بأسف يتعلق بالمصائر الدامية التي ينتهي اليها عندنا أصحاب الكلمة الحرة ، مصائر لا تليق بتواريخهم البيض ولا بمساعيهم الخيرة ، ولكنها الحقيقة الماثلة للعيان ، ولئن خابت الطعنة (المصرية) التي استهدفت رأس نجيب محفوظ وفكره ، فان الطلقات الغادرة في الزمن (العراقي) الأهوج أصابت تماماً في ١٧ / ٥ / ٢٠٠٤ ، فأسلمتنا الى مرارات الحزن والفقد .

الهوامش والمراجع

(١) تفضلت أسرة الراحل قاسم عجام وأطلعتني عليها ، وأخص بالذكر والشكر منهم الاستاذ طه محمد حسن .

(٢) تنظر -مثلاً -بعض دراساته : (جناحا النهوض : تأملات في موضوعة الثقافتين الأدبية والعلمية) ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٢ ، ١٩٨٢ ، (مواصلة الحديث في العمارة) ، آفاق عربية ، العدد ٨ ، ١٩٨٥ ، (ثقافة أم ثقافتان : دعوة للتفكير العلمي وضم رافدي الثقافة) ، بابل ١٦/١/٩٨٨ .

(٣) ينظر : الكتاب الذي أصدره عنه اتحاد الأدباء والكتاب / فرع بابل ، وهو بعنوان : (النور المذبوح : قاسم عبد الأمير عجام ، عين ثقافة العراق) : اذ وردت في السيرة العلمية ص ٤-٨ أسماء كثير من تلك الدراسات العلمية المتخصصة .

(٤) على سبيل المثال : (الخوف والتخلف والموت في خمارة القط الأسود ، مجلة الأقلام ، بغداد ١٩٧٣) ، (رموزنا الثقافية بين الاستثمار والاهدار) ، الحلة ٢٠/١/٢٠٠٣م .

(٥) (٦) .(نجيب محفوظ بين مجلسه واعماله) : ص ٣، ٤، ٨، ٩

(٧) (٨) م.ن : ١١ ، ١٢ ، ٢ .